

## فصل من كتاب "ذاكرة ملك"، حول المسيرة الخضراء

**سؤال:** بالنسبة لقضية الصحراء، يبدو أنه كان هناك مستويان : النزاع مع إسبانيا من جهة، والمواجهة، مع الجزائر من جهة أخرى.

**جواب:** أجل، ففي ثالث مارس 1965، وبمناسبة عيد العرش استقبلت السيد صوليس مسؤول حزب الكتائب الإسباني الذي جاء ليمثل الجنرال فرانكو في الاحتفالات، وقلت له يا سيد صوليس، أبلغ الجنرال أنه لو رفض فتح حوار معنا، فإنني سأبنتليه بفيروس تقرير المصير في الصحراء، وسأطلب من الأمم المتحدة تقرير المصير في هذا الإقليم. وبما أننا لم نتلق أي رد على ذلك طرحنا رسميا في سبتمبر 1965، قضية تصفية الاستعمار بالصحراء.

**سؤال :** وبضع سنوات بعد ذلك بعثتم برسالة شديدة اللهجة إلى الجنرال فرانكو ذهبتم فيها بعيدا إلى درجة التهديد بالتدخل العسكري.

**جواب:** أستغرب أن يكون قد صدر عني ذلك، فأنا أتذكر جيدا ما أتفوه به، وليس من طبعي أبدا أن أكون بهذا الوضوح عندما يتعلق الأمر بتهديدات. فقد بعثت بالفعل خطابا إلى الجنرال فرانكو، وما زلت أحتفظ بمسودته، لأنني حررته بنفسي، فالخطاب في جوهره كان حقيقة قاسيا، ولكن كان مهذبا ولبقا في شكله، على كل حال فرانكو رجل مسن، وكان له تجاهنا بعض الود وإن لم يكن ذلك الود في مستوى ما كنا دائما نتوخاه، غير أن ذلك ليس بالسبب الذي يجعلنا غير مهذبين وغير لبقين معه.

**سؤال:** وهل لقيتموه بعد ذلك؟

**جواب:** بالضبط، وعند ذلك فقط أدركت لماذا أكد هتلر بعد أزيد من أربع ساعات من التفاوض معه- لكي يسمح للقوات الألمانية بعبور إسبانيا في اتجاهها إلى إفريقيا الشمالية- بأنه كان يفضل الذهاب عند طبيب أسنانه للعلاج بدون بنج، على أن يذهب للتفاوض مع فرانكو، حيث أنني لقيت هذا الأخير سنة 1971 بمدريد عندما كنت أقوم بزيارة عمل، لقد كان إنسانا مهذبا للغاية، من الأنصار المتحمسين جدا للنظام الملكي، كما كان يكن احتراما كبيرا للملوك، وكنت أول من تناول الكلمة محاولا أن أشرح لفرانكو أن مصلحة إسبانيا تكمن في أن يكون لها تعاون في المنطقة يطمئنها على الحماية الاستراتيجية لجزر الخالدات ويضمن لها ذلك التعاون الاقتصادي الذي تتطلع إليه، سواء تعلق الأمر بالخيرات الموجودة على سطح الأرض أو بما في باطنها، أو بثروات البحر.

وبالنسبة للصحراء ذهبت حد اقتراح إقامة قواعد عسكرية بها في إطار اتفاق يتم بيننا على

قدم المساواة. واسترسلت في الحديث ساعتين دون انقطاع، في حين التزم فرانكو طيلة هذه المدة بسكوت وهدوء مثيرين للدهشة. ولم يكن يتحرك في جسمه سوى العينين وأهدابهما . وبعد أن أنهيت عرضي استلقيت بظهري على الكرسي ، وأنا أقول مع نفسي : "الآن وقد عرضت عليه وجهة نظري، فسأسمع لرده"، وقد أجابني عن ذل ذلك بعبارة واحدة هي " إن ما تطلبونه منا يا صاحب الجلالة عملية انتحارية، فلا أنا ولا إسبانيا مستعدان لذلك". هذا كل ما قاله . وبعد ثلاث دقائق أضاف، " إذا سمحتم هيا لتناول طعام الغداء، لقد أعددت لكم إقامة بالجناح الشمالي للقصر، فهل تودون غسل يديكم؟ وفعلا نهضنا. والحقيقة أنني لا أنسى هذه الازدواجية في معاملة فرانكو لي. فقد أفضت في عرض وجهة نظري حوالي ساعتين، فيما كان رده في منتهى الإيجاز. كما أن رفضه لاقتراحاتي لم يمنعه من أن يكون معي في غاية الود واللفظ طيلة مدة إقامتي بإسبانيا. وقد تجاذبنا أطراف الحديث لفترة طويلة، كما ذهبنا للقصر معا، لكنه ظل على موقفه ولم يتزعزع عنه قيد أنملة.

**سؤال :** وما هو الانطباع الذي خرجتم به من لقائكم مع فرانكو؟  
**جواب :** لقد خرجت بانطباع أولي ألا وهو وجود هوة بين جيلين ترتب عنها عدم التفاهم في التحليل. كما أدركت أنه كانت تخونه القدرة على استشفاف المستقبل. إن الأمر في ميدان السياسة شبيه إلى حد ما بتصميم "بيغ بن"، إذ يتعين القيام بفقرة أنطولوجية كبرى، (كما يقول كانط)، لكنني أدركت أن سن فرانكو لا يتيح القيام بهذا المجهود، وأنداك قدرت مدى الخطورة التي قد يأخذها تطور الأحداث بين إسبانيا والمغرب. وعدت إلى بلدي قلقا جدا وأنا أتضرع إلى الباري " يارب قنا شر بعضنا البعض، وجنبنا أية مواجهة بيننا" ذلك أنني كنت واثقا من أن الحوار أصبح مستحيلا.

**سؤال:** لكنه مع ذلك تم الإبقاء على الاتصالات والمفاوضات؟  
**جواب:** لقد جاء السيد لوبيز برافو وزير الشؤون الخارجية الإسباني لزيارتي، ثلاث مرات، واكتشفت في النهاية أنه إنما كان يراوغ فقط وأنه يطعننا من الخلف، وفي المرة الأخيرة التي استقبلته فيها قلت له : " ياسيد برافو، تعهدوا لي بأنكم لن تمنحوا الاستقلال الذاتي للصحراء. ورغم أنني سأبدو صلفا، فأنا مستعد لأن أفضل مرة أخرى استمرار الاحتلال الإسباني- إلى أن نتوصل إلى اتفاق ( لأن هذا الإقليم جزء من المملكة)، على أن أراكم تسلمونه لآخرين"، فرد السيد برافو، بالطبع اطمئنوا فأنا أعدكم وسأبلغ فرانكو بذلك". واكتشفت فيما بعد أنه في الوقت نفسه يتفاوض مع الجزائر، بشأن صفقة غاز عن طريق وساطة شركة "ماتيسا" التي كانت في ملكية أخيه، الذي كان وراء أكبر فضيحة مالية عرفتها إسبانيا، وباختصار وجدت نفسي في وضعية لا يخرج منها إلا من كان بارعا في الكذب.

**سؤال :** لقد كانت الصحراء بمثابة مباراة غريبة الأطوار في الشطرنج مع بومديان.  
**جواب :** إن تكويني القانوني علمني أنه على المرء أن يتحلى دائما بحسن النية ، فبكل

صراحة لم أكن أعتقد أبدا أنني أمام محاور ذي شخصية مزدوجة، فقد كان بومدين يظن أنني أوقعت به ، ففي سنة 1974، كنا مجتمعين في أكادير وبمعيّتنا الرئيس الموريتاني ولد داه، والحقيقة أنني لم أكن مرتاحا ، فحدسي كان ينبئني بأن هناك تواطؤا ما يدبر في الخفاء، ومكثنا يومين وليلة، وفي المساء قلت لضيبي، لقد ضحيت بالكثير من أجل إقامة علاقات صداقة مع بلديكما، وتوخيت من ربط هذه الصداقة ضمان استقرار المغرب والمنطقة، وعملت على نسج خيوط التعاون بين دولنا الثلاث، فإذا كان من شأن قضية الصحراء أن تحدث شرخا في هذا النسيج القائم بيننا، فأقترح حفاظا على هذه الصداقة- أن ينكب كل واحد منا على الشؤون الخاصة لبلاده، دون أن ينخر مشكل الصحراء جسم هذا الثلاثي.

واعتقد بومدين أن كلامي كان موجها إليه. وفي المساء ونحن على مائدة العشاء بدا بومدين مقطب الجبين. فانحنيت اتجاهه بكل لطف وهمست في أذنه " لماذا يبدو على محياكم هذا العبوس. إنكم ترددون أينما حللتهم وارتحلتم في شتى المناسبات أن لا أطماع لكم في الصحراء. وإذا كان منا من يتعين عليه أن يحس بالحرَج فهو صديقنا الموريتاني الذي يطالب بهذا الإقليم. خذوا إذن راحتكم وابتسموا ولا تستأثروا من أقوالي. فأجاب : " لا لا، فأنا لا أشعر أبدا أنكم قصدتموني بكلامكم"، ثم انتقل بما عرف عنه من تملص إلى موضوع آخر. لكنني أحسست أن الرجل انقبض كما تتكلمش المحارة عندما تصب عليها نقطة من حامض الليمون.

**سؤال :** في يوليو 1975، قرر الإسبان قبول نقل السيادة للصحراء، كيف كان رد فعلكم؟  
**جواب:** لقد احتج المغرب على ذلك وعرضنا القضية على محكمة العدل الدولية بلاهاي ووجدت إسبانيا نفسها مضطرة لانتظار الرأي الاستشاري للمحكمة.  
**سؤال:** واصلت المحكمة النظر في القضية حتى نهاية شهر غشت 1975، وأصدرت رأيها في 16 أكتوبر، فماذا فعلتم في غضون ذلك؟  
**جواب:** في 20 غشت كان علي أن ألقى خطابا بمناسبة ذكرى الملك والشعب، وهي الذكرى التي تخلد تاريخ نفي الأسرة الملكية. وعشية ذلك اليوم، كنت أتساءل مع نفسي: "تري ماذا عساي أن أقول في هذا الخطاب؟ وفي المساء وبعد أن أدت صلاة العشاء، أخذت إلى النوم، فاستيقظت فجأة في منتصف الليل، تراودني فكرة نفذت نفوذ السهم إلى ذهني وهي: "لقد رأيت آلاف الأشخاص يتظاهرون في جميع المدن الكبرى مطالبين باستعادة الصحراء، فلماذا إذن لا ننظم تجمهرا سلميا ضخما يأخذ شكل مسيرة؟ وهنا أحسست أنني قد تحررت من عبء ثقيل للغاية. وقد اكتفيت في خطابي في اليوم الموالي بالتطرق لبعض القضايا العامة. إثر ذلك استدعيت وزير التجارة ووزير المالية وقلت لهما: "إن شهر رمضان قد يكون قاسيا، إذ المحاصيل الزراعية كانت متوسطة، فهل يمكننا من باب الاحتياط، تخزين

كمية من المواد الغذائية؟ حتى إذا وجدنا أنفسنا في حاجة إلى عرضها في السوق أمكننا المحافظة على سعر ثابت لها، فأجابا، " بكل تأكيد، وماهي الكمية التي يتعين تخزينها؟" قلت لهما، "تموين يكفي لشهر أو شهرين"، ولم يفطنا لشيء، وهذا ما كنت أرغب فيه. واستعديت بعد ذلك أولئك الذين سيصبحون إلى جانبي المسؤولين الثلاثة عن المسيرة وهم: الجنرال أشهبار الكاتب العام لإدارة الدفاع، والجنرال بناني من المكتب الثالث، والكولونيل ماجور الزياتي من المكتب الرابع، وبعد أدائهم اليمين بعدم إقضاء السر حتى ولو لم يكونوا متفقين على ذلك، شرحت لهم أن عدد المشاركين في المسيرة سيصل إلى ثلاثمائة وخمسين ألف نسمة. فقالوا مستفسرين "لماذا كل هذا العدد؟" فأجبتهم، " إن المسألة في غاية البساطة. فهناك ثلاثمائة وخمسون ألف مغربي ومغربية يولدون كل سنة، وبالتالي فإن هذا العدد ليس بالأهمية التي تؤثر على عدد السكان". وقد ألهمت الكرة على التو حماسهم وشرعوا في العمل بدون كاتبات أو أجهزة حاسوب، وكانوا يحررون كل شيء بأيديهم، حيث كان يتعين إحصاء كمية الخبز اللازمة لإطعام ثلاثمائة وخمسين ألف شخص، وعدد الشموع الضرورية لإنارة الخيام. وهكذا عملنا- نحن الأربعة- في سرية تامة حتى مطلع شهر أكتوبر، وهنا كان لا بد من الإسراع للحكومة بذلك، وكذا لعمال الأقاليم حتى يفتحوا في الوقت المناسب المكاتب لتسجيل المتطوعين.

**سؤال:** لماذا تأخرتم كل هذا التأخير في إخبار الحكومة؟  
**جواب:** لأن كتمان السر كان أسهل بين أربعة أشخاص، أكثر منه بين ثلاثين. فما بالكم إذا أفشي السر لأزيد من أربعين عامل إقليم سيما وأن تسرب هذا السر كان سيكون مميتا وستكون له انعكاسات وخيمة على الصعيد الدولي.  
وبحلول 16 أكتوبر، أصدرت محكمة العدل الدولية بلاهاي رأيها الاستشاري واعترفت فيه بأن روابط البيعة كانت قائمة على مر العصور، بين المغرب والصحراء. فوجهت خطابا إلى شعبي أعلنت فيه عن تنظيم المسيرة الخضراء. وقبل أن أتم خطابي، وكان ذلك في الساعة الثامنة ونصف مساء في بهو مفتوح النوافذ، بدأت أصدا الصيحات المتعالية من الأحياء المجاورة للقصر بمراكش تصل إل مسامعي.  
ففي كل مدن وقرى المملكة خرج الناس إلى الشوارع يهتفون ويصيحون: "نحن متطوعون"، لقد تجمهرت في كل مكان حشود تفيض حماسا منقطع النظير، وكان بالإمكان لو أردنا ذلك أن نعبئ مليوناً أو مليوني شخص لهذه المسيرة. وقد شكلت النساء عشرة في المائة من العدد الإجمالي للمتطوعين، واكتشفنا فيما بعد أن منهن من كن حاملات، وإن إحدى عشر وضعن حملهن إبان المسيرة، ولم تحدث خلال شهر ونصف أي وفاة.  
**سؤال :** ألم يبد بعض الزعماء الأجانب انزعاجا من مبادرتكم؟  
**جواب :** على الصعيد الرسمي لم يكلف أي منهم نفسه عناء استفساري. على أنه إذا كان علينا خوض حرب فتاك قضية ترجع إلينا. وبما أن المغرب كان معبأ أحسن تعبئة، فإن طرح سؤال من أي كان سيبدو سخيفا، كما أنه لم يحصل استفساري لمعرفة وجهة نظري

من أي رئيس أجنبي. لقد انهمكنا في إعداد الأغذية والمواد الغذائية، والأدوية اللازمة لثلاثمائة وخمسين ألف شخص، كما اشترينا لهم خزانات مطاطية لحفظ الماء حتى لا يعانون من أي نقص فيه. ولم يحدث في أي وقت من الأوقات أن عرفت الأسواق خصاصا بسبب عدم التمكن من نقل الطماطم أو اللحوم مثلا. وكنت أنام قليلا، لكنني كنت أشعر بحيوية ونشاط، ربما لم أحس بهما من ذي قبل. لقد كنت فخورا بشعبي. كما كنت في نفس الوقت أعني جيدا أنه لو سارت الأمور على خلاف ما كنت أتمناه لكان ذلك بمثابة كارثة أتحمّل

تبعثها

**سؤال:** على أي شيء كنتم تراهنون وأنتم تعلنون عن هذه المسيرة؟  
**جواب:** كان الأمر يتعلق برهان سيكولوجي يتوقف عليه كل شيء، حيث كنت أعرف أن فرانكو وحاشيته عسكريون، فإذا تصرفوا كعسكريين حقيقيين فما كنت أخالهم يطلقون النار على ثلاثمائة وخمسين ألف مدني عزل.  
**سؤال:** ولو حدث أن وقعت مواجهات ومذابح؟

**جواب:** في عديد من الخطب التي وجهتها آنذاك، كنت أحذر المشاركين في المسيرة من "أننا قد نجد حقول ألغام ومصفحات، وقد نواجه مدفعايات فوهاتها مصوبة نحونا". فخلال الشهرين اللذين كنت أهيئ فيهما للمسيرة الخضراء كان هاجس واحد هو شغلي الشاغل وكان يتمثل في ذلك السؤال الذي ما فتئت أردده على مسامع جميع محاورتي " ترى هل سيشبه الشباب المغربي المدلل الآن بمظاهر التقدم، آبائهم؟ وهل ستكون لهم كامل الشجاعة لمواجهة الدبابات؟ وكان كل من طرحت عليه السؤال يرد قائلا، " أن الشباب المغربي لم يتغير، إنه من طينة نفس الشعب".  
**سؤال:** هل كان خوان كارلوس مشاركا في المفاوضات؟  
**جواب:** كلا، لم يكن في الواقع مشاركا، فقد تم إيفاده إلى جزر الخالدات لكبح جماح العسكريين، وإفهامهم أن الأمر يتعلق بقضية اتخذت منحى سياسيا وليس عسكريا.

وكان الجنرال فالديز قائد القوات الإسبانية بالصحراء رجلا في غاية الانضباط، كما أنه لم تصدر عن إذاعتنا الوطنية - طيلة المدة التي استغرقتها المسيرة - ولو كلمة واحدة نابية تجاه إسبانيا، وما كنا نردده باستمرار هو " أن محكمة العدل الدولية قد أنصفتنا".

**سؤال:** في أي وقت بالضبط قررتم وقف المسيرة؟  
**جواب:** في الوقت الذي أدركت فيه جميع الأطراف المعنية أن يستحيل أن تحل الدبلوماسية محل الوجود بالصحراء، ولم يكن إرسال المغاربة في مسيرة إلى الصحراء، بالأمر الأكثر صعوبة، بل كان الأكثر من ذلك هو التأكد من أنهم سيعودون بانتظام عندما يتلقون الأمر بذلك وهم مقتنعون أن النصر كان حليفهم، وذلك ما حصل بالفعل، وبهذا الخصوص قد روى لي الملك خوان كارلوس فيما بعد واقعة طريفة، هي أن صحفيا إسبانيا استقل سيارة أجرة من مدينة أكادير للالتحاق بالمسيرة الخضراء في طرفاية، وعلى بعد مائة كيلومتر من

أكادير سمع السائق خطابي الذي أعلنت فيه أن المسيرة قد أدت مهمتها، وطلبت من المشاركين العودة، وتوقف السائق على الفور وعاد على أعقابيه. فسأله الصحفي وهو في غاية الاندهاش، ترى ماذا دهالك؟ فأجابه السائق: "لقد أمر ملكنا بالعودة وعلي أن أمتثل لأمر سيدنا".

**سؤال:** كيف كان رد فعل بومدين تجاه المسيرة الخضراء؟  
**جواب:** لقد أوفدت له الحاج محمد باحنيني وزير الدولة الأمين العام للحكومة الذي كان صديقي وأستاذي والذي كان بحق ذاكرة المغرب، وبعد عودته، روى لي أن بومدين في حالة غير طبيعية، حيث بادره القول، "إنها حماقة أن تجمع 350 ألف شخص ليس أمرا هينا، إذ تصعب السيطرة على الوضع، لاسيما وأن ذلك يحدث على حدود بلادي وأنا معني بهذا الأمر". والواقع أن بومدين كان يبحث عن أي سبب يمكنه من الزعم أنه معني بالموضوع. فهو لم يخف محاولته هاته.. إذ كان يردد مطالبته على الدوام بتقرير المصير، في فيتنام والكمبودج انطلاقا من اقتناعه الراسخ، لذلك كان يرى أنه من الجور الصارخ أن لا يطالب بنفس الشيء للبوليساريو الذي كان يوجد على حدود الجزائر، إنه لغريب حقا أن يقول بومدين عن نفسه أنه مولع بالديمقراطية ومناصر لتطبيق مبدأ تقرير المصير.

**سؤال:** ومتى التقيتم به بعد المسيرة الخضراء؟

**جواب:** لم أراه قط منذ المسيرة الخضراء. ففي سنة 1979، كنا قد اتفقتنا على الالتقاء في سرية تامة في بلجيكا، وأشعرنا بذلك السيد "راس"، رئيس المخابرات البلجيكية الذي بحث الموضوع مع العاهل البلجيكي والوزير الأول ووزير العدل، وقد هيا البلجيكيون قصرين متجاورين، واقترح علي بومدين تاريخ 10 يوليو، فقلت له "إنني في تاسع وعاشر يوليو أكون دائما منشغلا بعيد الشباب، ألا نلتقي بعد بضعة أيام من ذلك؟ إلا أنه بعدد أيام قليلة سقط طريح الفراش ونقل إلى موسكو، تم أعيد إلى الجزائر وهو في غيبوبة تامة، إلى أن وافاه الأجل المحتوم، وعلى أية حال كان من الأفضل عدم التقائنا.

**سؤال:** لماذا؟

**جواب:** لأنه كان سيسفر عن لقائنا بدون شك، اتفاق وتسوية لقضية الصحراء، وكان سيتوقف عن أي تدخل في شؤوننا الداخلية، لكنه لم يكن ليقبل مطلقا أن نسترد النصف الآخر من الصحراء، الذي كان يريد إياها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. غير أن هذا الجزء من الصحراء رد إلينا بعد شهر من ذلك، وبالضبط في 16 غشت 1979. وإذ ذاك تنفست الصعداء وقلت مع نفسي "من حسن الحظ أن اللقاء على انفراد مع بومدين لم يتم"، وكان جليا أنه لم يكن في مقدور الموريتانيين، الحفاظ على الجزء الجنوبي من الصحراء، وإنهم كانوا سيتخلون عنه ذات يوم. كما كان باديا للعيان أيضا أن للبوليساريو سيستغل الفرصة لينقض على الداخلة، وجميع ضواحيها. لقد فطنت لذلك، وقمت أنا ووزير في الداخلية إدريس البصري والأركان العامة للقوات المسلحة الملكية بإعداد إدارة محلية انكبت

على دراسة الخرائط الجغرافية. وذات صباح باكر، وبعد أن غادر آخر جندي موريتاني برج المراقبة بالداخلة، أقمت جسرا جويا تم عن طريقه نقل جميع السلطات العسكرية والمدنية والقضائية ومسؤولي الأشغال العمومية.

**سؤال:** أود أن أعود مرة أخرى إلى المسيرة الخضراء، فكيف يشعر المرء أن أمرا هاما يتم الإعداد له وأن هناك فرصة سانحة يجب انتهازها؟

**جواب:** إن الأمر شبيه إلى حد ما بحالة الطقس شريطة أن لا يعيش المرء في بلد ذي فصلين فقط. حيث يكون نصف السنة شتاء والنصف الآخر صيفا. وحيث يحس المرء بقرب تغير الجو، وعندما تتلبد السماء يتعين عليه اتخاذ قرار إما باللجوء إلى أقرب ميناء للاحتماء به أو مواصلة الإبحار مع تلافى الصخور، والواقع أنني استشعرت تلك الأشياء، لكن لا أستطيع أن أشرح لكم ذلك بمزيد من التفصيل.

**سؤال:** ومع ذلك في سنة 1979، و1980، كان يبدو أن الملف المغربي حول الصحراء لم يكن بالشكل المطلوب على الصعيد الدبلوماسي؟

**جواب:** أبدا فلا يجب أن نغفل أن العالم كان آنذاك مقسما إلى مجموعتين، فهناك الغربيون الذين كانوا ينتمون إلى ناد، وهناك الإتحاد السوفياتي ومن يدور في كنفه الذين يكونون معسكرا. ففي النادي ليس هناك تضامن مطلق سواء على المستوى الأفقي والعمودي أما في المعسكر، فإن التضامن يكون فيه مطلقا عن كل قيد. ومن هذا المنطلق، فليس صحيحا أن الملف المغربي حول الصحراء لم يكن مسيرا بالشكل المطلوب، كل ما هنالك أن الملف الجزائري كانت تتكفل به أزيد من ستون دولة. ففي كل مرة كان يذهب فيها مبعوث جزائري إلى إحدى العواصم الخاضعة لنفوذ الإتحاد السوفياتي كان يحصل على كل ما يطلبه من دعم لوجيستيكي سوفياتي. أما بالنسبة للمغرب فلم يكن يعتمد على بلد واحد أو بلدين من النادي الغربي وحتى هذا الاعتماد كان مرتبطا بمزاج ما، في حين أن الجزائر كانت تتلقى السند من جميع الدول التي تدور في فلك الإتحاد السوفياتي، بما في ذلك سفاراتها وشبكاتهما الإعلامية.

**سؤال :** وعندما تم سنة 1979 اعتراف خمس وثلاثين دولة بالجمهورية الصحراوية، ألم يكن ذلك برهانا على كفاءة المعسكر السوفياتي؟

**جواب :** بكل تأكيد، وسأقدم لكم مثالا آخر. لقد ذهبت في زيارة رسمية للإتحاد السوفياتي، وكنت أعرف معرفة جيدة الوزير الأول السيد أليكسي كوسيجين، الذي أعتبره من أبرز الشخصيات التي قابلتها، وقد كان ملما بملفاته أكثر بكثير من بريجنيف، وكان يتميز بسعة صدر مدهشة. وهنا أسوق لكم رواية : فقد كنت أتناول معه طعام الغداء بحضور بريجنيف وبودغورني، وحين حمل إلى كبير الخدم الشاي الذي أعده بالنعناع مال نحوي كوسيجين وهمس في أذني: "كيف تودون تقديم الشاي لهذين الفلاحين الروسيين، وهما لا يعرفان إطلاقا حتى ما تعنيه كلمة شاي. دعهما يحتمسيان الفودكا". وخلال مقامي بموسكو حاولت التوصل إلى اتفاق بشأن إحدى القضايا، ذلك أن المغرب كان

يستورد 80 أو 90 في المائة من مادة السكر وكان يتعين عليه فضلا عن ذلك تسديد ثمن هذه المادة بالدولار، فتقدمت بالاقتراح التالي إلى كوسيجين: أن الاتحاد السوفياتي ينتج السكر، فلماذا لا نبرم اتفاقا بهذا الشأن، بحيث يستورد المغرب السكر من الاتحاد السوفياتي، ويستورد الاتحاد السوفياتي من المغرب الحوامض والفوسفات اللذين هو في أمس الحاجة إليهما، نظرا لأنه لا يستطيع استغلال منتوجاته بحكم ما يعرفه طيلة نصف سنة من صقيع وجليد، فرحب كوسيجين بالفكرة أيما ترحاب لأنه وجدها فكرة ممتازة. إلا أنه عاد لمقابلتي بعد الزوال وهو في غاية الحرج والضيق قائلا لي: " لقد أبلغتني المصالح التابعة لي أن هناك بندا في الاتفاقية المبرمة مع كوبا يمنعنا بتاتا من مضايقة أسواق هفانا، وهنا أيضا يطفو المعسكر على السطح، فكوسيجين كان يعرف جيدا أنه سيخسر الكثير بعدم إبرام هذه الصفقة معي، لكن لم تكن بيده حيلة، إذ لا يستطيع مضايقة كوبا. سؤال: هل سبق أن التقيتم بكاسترو؟

جواب: في سنة 1936، وبعد قضية الصواريخ جاء كاسترو إلى الأمم المتحدة، ، حيث كنت موجودا ، فاستمعت له وهو يوجه السب والشتم إلى الولايات المتحدة الأمريكية طيلة أربع ساعات.

وكانت الخطوط الجوية السوفياتية تؤمن الرحلات بين موسكو وهافانا تتوقف في الرباط، وذات يوم أشعرت أن كاسترو يود وهو في طريقه إلى موسكو، الالتقاء بي أثناء توقفه بالرباط. وفعلا اجتمعنا لمدة ساعتين، وتناولنا طعام الفطور معا. وكان يرتدي الزي العسكري دون نياشين، وكان بسيكاره المعهود يتمتع بكياسة وثقافة مدهشتين. سؤال : وماهي المواضيع التي تطرقتما إليها؟

جواب: تحدثنا عن اختلافنا الايديولوجي. ولقد ترك لدي الانطباع بأنه ليس ماركسيا متشعبا بالفكر الماركسي فحسب، ولكن أيضا كان رجلا مصمما على عدم الاقتناع سوى برأيه، مصما أذنيه عن كل المحاولات، وأعتقد أنه ذهب بعيدا في تعهداته، وكان يدرك أن الإخلال بالالتزامات يكون أحيانا أكثر أذى من مجرد التمسك باختيار معين. ومهما يكن الأمر، ولما أنه كان يستعصي علي أن أجعل منه مسلما غير شيوعي ملحد، فقد أضعنا وقتنا، ولكن بذكاء.

سؤال : لقد كانت وضعية المغرب بالصحراء سنتي 1979 و 1980 صعبة للغاية وهو يتعرض لهجمات

جواب: أن ما كان يفقد الأمور توازنها هو أننا لم نكن أبدا نرد على كل هجوم مكثف بهجوم مضاد، بحيث حرصت على الدوام على احترام أراضي الدول المجاورة، ولو فعلنا خلاف ذلك لعمت الحرب إفريقيا الشمالية.

سؤال : كيف تفسرون الموقف المتصلب لخلف بومدين الشاذلي بن جديد؟

جواب :يتعين في البداية العودة لظروف الجزائر آنذاك، فبعد وفاة بومدين كان هناك خمسة مرشحين لخلافته، وفي آخر لحظة قرر الجيش من يخلف بومدين يجب أن يكون عسكريا



أولاً، وفي نفس الوقت متوفراً على أسمى وأقدم رتبة عسكرية، فتوجهوا إلى الشاذلي الذي لم يكن له أي طموح، وكان شديد الحرص على الإقامة بوهران، وأفهموه أن مستقبل الجزائر واستقرارها رهينان بقبوله تولي السلطة، وفي الحقيقة فقد أجبر على تولي رئاسة الجزائر.

**سؤال :** ومن كانت له اليد الطولى على السياسة الجزائرية : هل العسكريون أم المدنيون؟  
**جواب:** لقد أحدث المدنيون متاعب لنا أكثر مما خلقها لنا العسكريون. فقد أبان الحزب الوحيد في الجزائر عن تصلب يفوق بكثير تصلب القادة العسكريين، فهؤلاء كانوا سيختارون طريق التراضي، لكن رأي الحزب هو الذي تغلب في الأخير.

**سؤال:** رغم ما كان للجيش من وزن؟  
**جواب :** لا تنسوا أن حزب جبهة التحرير الوطني، كان آنذاك في أوجه، وكانت سياسة التصنيع المفرطة، تبدو وكأنها حققت نجاحها في مجال إحداث مناصب الشغل، كما أن العملة الصعبة كانت تتدفق على البلاد بسبب ارتفاع أسعار البترول، وأمام تماسك الحزب، أبى العسكريون إحداث مشكل للدخول في نوع من الانشقاق، غير أنه في سنة 1991، وبعد أحداث الجزائر العاصمة انسحب الجيش من الحزب الوحيد، وذلك بمبادرة من الرئيس الشاذلي بن جديد.

متى تم أول لقاء بينكم وبين الشاذلي؟  
**جواب :** بمحض الصدفة، وكان ذلك بمكة المكرمة بمناسبة القمة الإسلامية بالطائف. فجميع رؤساء الدول والوفود قرروا أداء مناسك العمرة. والطواف حول الكعبة المشرفة. وبما أنني كنت أدت هذه المناسك، فقد صعدت إلى قلب الكعبة للتعبّد، بينما كان الآخرون يطوفون حولها، وفي الوقت الذي خرجت فيه من الكعبة المشرفة، صادفت الشاذلي أمام الباب، ووجدنا أنفسنا مضطرين لتبادل الابتسامة، تم تصافحنا. والحقيقة أن القدرة الإلهية شاءت أن نلتقي.

**سؤال:** وماذا جرى بعد ذلك؟  
**جواب:** لقد التقيت مع الشاذلي بعد بضع سنوات بمبادرة من الملك فهد. وتم اللقاء على الحدود قرب وجدة، وجاء لتناول طعام الغداء معي تحت خيمتي، وتباحثنا طويلاً لكن دون جدوى، وترك لدي انطباعاً بأنه لا يؤذي، وأنه طيب وليس فظاً ولا مغروراً. وكنت على علم أنه سبق للشاذلي أن ذهب مراراً لمقابلة بومدين ليقول له : " إنك لست على صواب في قضية الصحراء، وأنا ضد ما تفعله"، غير أنه للأسف ترك لدي انطباعاً بأنه قد جرفه تيار نظام الحزب الوحيد الذي كان الجيش ينتمي إليه آنذاك.

**سؤال :** ميزتم قبل قليل بين النادي والمعسكر، من هم أعضاء النادي الذين كانوا أكثر تحفظاً تجاه المغرب في قضية الصحراء؟  
**جواب :** لقد كان الإسبان الأكثر تحفظاً، وقد أسأوا إلينا كثيراً ، ومارسوا لعبة مزدوجة ، إلى أن جاء الاشتراكيون إلى الحكم فأبانوا عن قدر كبير من الواقعية، والآن فإن اتفاقية

صداقة تربطنا، ونحن نعيش في صفاء تام.  
سؤال : وماذا كان موقف "خوان كارلوس؟  
جواب : يحق لي أن أفخر وأعتز بأنني كنت أول من كاتبه بصفته ملكا، وعلاقتنا جد حميمة، ونتخاطب بصيغة المفرد، وقد اعتدنا أن يتصل بي هاتفيا أو أتصل أنا به كلما حدث مشكل. لم تكن له سلطة تغيير مجرى سياسة حكومته، لكنه اعتبر على الدوام أن الصحراء مغربية، وأن هناك بلدا يتعين إرجاعه إليه، هو المغرب دون غيره. كما أن العديد من العسكريين الشباب المستنيرين كانوا يشاطرون خوان كارلوس هذا الرأي وجميعهم ينتمون للجيل الجديد.

فصل من كتاب "ذاكرة ملك" عن المسيرة الخضراء للمغفور له الملك الحسن الثاني